دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	حواء وقضية الرداء
المصدر:	الوعي الإسلامي
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	مطر، حسين
المجلد/العدد:	س9, ع101
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1973
الشهر:	جمادي الأولى / يونيو
الصفحات:	100 - 103
رقم MD:	438091
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الثقافة ، زي المرأة، الأزياء الغربية، المجتمع المسلم، دور الفرد، الحجاب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/438091

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

للأستاذ : حسين مطر

حـــواء وقضيـــة الـــرداء

كثيرا ما أثارت قضية مظهر المرأة تساؤلات ومناقشـــات فهنـــاك تبرجها الصارخ ، وهناك الذى يقف موقف المتفرج أو المشـــجع ، واذا أردنا أن نحصر مواقف النـــاس حيـــال هـــذه المسألة نجدهـــا تتلخص فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

الاتجـــاه الأول :

هناك من يعرض عن الأخذ بالأزياء الغربية باعتبار أنها تتعارض مع القيم والتراث الاجتماعى والثقافى لشرقنا العربى والاسلامى ، وهذه الفئة تتمسك بمظهر يتفق وضرورة المحافظة على تلك القيم التاريخية والثقافية باعتبار أنهـــا جزء من الكرامة الذاتيـــة القومية ، وهم فى سبيل ذلك لا يأبهـــون بســـخرية الآخرين بل يمضون فى طريقهم بفخر وتصميم واعتزاز ، لكن هذه الفئـــة تشكل نسبة قليلة فى المجتمع .

الاتجـــاه الثانى :

ويعتبر الأخذ بأنماط الأزياء نوعا من الرقى والأخذ بأحدث أساليب العصر ، والنساء من هذا الفريق يتسابقن لمعرفة أحدث خطوط الموضة فى عالم الأزياء غير مكترثات بقيم المجتمع وتراثه التاريخى والثقافى .

الاتجاه الثالث :

ويشكل الغالبية العظمى فنرى أن النساء يأخذن بمظهر الأزياء الغربيـــة كنوع من مسايرة ما درج عليه المجتمع الحديث من تغيير ، وان كـــان بعضهم يساير الاتجاه على مضض خوفا من الخروج على الاتجاه السائد لكيلا يوصموا فى نظر الغالبية وبالتخلف والجمود .

وهنا يقفز الى الذهن سؤال : ترى من هو المسئول عن مواجهة مثل هذه الظاهرة وما تسببه من صراع ؟

هل المسئول هو الدولة المهيمنة بتشريعاتها وقوانينها على أفراد المجتمع ؟

— أم الفرد الذى يتمتع بنوع من الحرية وضبط النفس ؟

— أم المجتمع الذى يفرض على الفرد أنماطا معينة من المعايير السلوكية بحيث لا يستطيع أن يحيد عنها بسهولة ، والا كان عقابه الاحتقار المر والعزلـــة القاتلـــة ؟

واذا وضعنا فى اعتبارنا المناقشات التى دارت حول هذا الموضوع فى بعض الأقطـــار العربية والاسلامية نستطيع أن نستخلص النقاط الآتية :

١ ــ المجتمع أقوى من الفرد :

فالفرد يخاف من المجتمع ، ويحرص على إرضائه ومسايرته حتى ولو كان في قرارة نفسه غير مقتنع أو راض عما يقوم به شخصيا ، فهو يخشى أن يقذف بالاحتقار والعزلة اذا ما خالف الخط العام الذى ينتهجه المجتمع ، فبعض الفتيات رغم ادراكها بأن ارتداء الزى الافرنجى يحرمه الدين الا أنها تصر على التمسك به لارضاء المجتمع ، إذ أن خوفها من المجتمع أقوى من خوفها من تعاليم الدين فهى على استعداد للتضحية بقيم الدين وغير مستعدة للتضحية بارضاء المجتمع .

وان محاولة الخروج على الخط العام الذى ينتهجه المجتمع أشبه بعملية مصارعة الثيران وليس بمقدور الفرد العادى أن يقوم بمهمة مصارع الثيران .

٢ ــ **دور الفرد** ونفوذه غالبا ما يكون محدودا داخل نطاق الأسرة فمهما كانت سلطة الوالدين ونفوذهما فان تأثير المجتمع أقوى بكثير من نفوذ الأسرة خاصة اذا كان المجتمع يمر بمرحلة تحول من التخلف الى التقدم ، كما هو الحال فى المجتمع العربى فى الظروف الراهنة .

٣ ــ **الدولة هى اداة لتنفيذ القانون** . والقانون غايته حفظ النظام بين أفراد المجتمع بغض النظر عن أية اعتبارات أخلاقية ، إذن ليس من أهداف القانون تغيير المجتمع ، بل إن المجتمع هو الذى يغير القانون تبعا لاحتياجاته وتطلعاته ، ولكن هل معنى ذلك أن نعفى الدولة من أية مسئولية فى عملية إصلاح المجتمع ؟

بالطبع إن الدولة بوصفها الجهاز الرسمى وحامية للقانون يمكن أن تساهم بدور فعال فى تشجيع عملية الاصلاح والتمهيد لها ، وذلك يتوقف على أسلوب النظام الحاكم وسياسته العامة ، اذن كل ما تستطيع أن تفعله الدولة هو تهيئة الجو الملائم تمهيدا لعملية الاصلاح ، ولكن الدور الرئيسى فى هذه العملية يبقى فى يد المجتمع نفسه ، أما اذا اقحمت الدولة نفسها بقوة القانون لتغيير قيم معينة فى المجتمع فان ذلك قد تكون له نتائج ايجابية فى حالات مؤقتة ملحة أو تحقيق نتائج على المدى القصير ، بينما على المدى الطويل يثبت هذا الاقحام فشله ، وخير مثل نستشهد به هو اصدار الرئيس الامريكى ابراهام لنكولن قرار تحرير العبيد منذ مائة وخمسين سنة ، ولكن ما الذى يحدث اليوم فى الولايات المتحدة ؟ إن التفرقة العنصرية لا تزال قائمة لأن عملية الاصلاح اقحمت على المجتمع من سلطة فوقية ، ولم تتم عن طريق الاقتناع الحر ، نستنتج من ذلك ان عملية تغيير المجتمع تقوم على الاقتناع الحر الذى يستغرق وقتا وجهدا طويلا قبل أن تقوم على قوة السلطة ، فما تراكم على مر عشرات أو مئات السنين لا يمكن تغييره بين يوم وليلة من خلال قانون رسمى تصدره الدولة .

وهنا لا بد أن نجيب على السؤال التالى : ما الذى يؤثر فى المجتمع ، ويشكل القيم التى تحكم سلوك افراده ونظرتهم الى الحياة والتى على أساسها تبنى الدولة قوانينها وتشريعاتها ؟ .

فى الواقع توجد هناك عوامل تاريخية وثقافية تسهم جميعا فى بلورة قيم معينة لا تلبث أن تصبح بمرور الوقت أشياء تقليدية راسخة تحكم السلوك ، وتتحكم فى نظرة الفرد تجاه الظواهر الاجتماعية على اختلافها هذا بالاضافة الى أن نوعية رجال الثقافة والفكر تلعب الدور الأكبر فى تشكيل الرأى العام وتوجيهه وارساء قواعد القيم التى يؤمنون بها ، فالمجتمع يتحكم فيه بصورة أساسية قادة الفكر من

المثقفين والكتاب والصحفيين وبقيمة رجال الثقافة والفكر خاصـــة المشتغلين بوسائل الاعلام مثل السينما والاذاعة والمسرح والتلفزيون ، وهؤلاء جميعا يقع عليهم العبء الأكبر فى حمل رسالة التغيير والمتطلع الى الحياة الأفضل استجابة لرغبة قطاعات الجماهير ، وتفاعلا مع أهدافها وخلفيتها التاريخية والثقافية ، لهذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير الى أهمية هذه الفئـة من المجتمع بقوله : (العلماء ورثة الأنبياء) وتبرز أهمية الدولة فى هذا المجال بأنها تقوم بمهمة الحارس الأمين عن طريق أجهزة الرقابة على الاتجاهات السلبيـة والهدامة ، وتشجيع العناصر الناهضة البناءة ، واحاطتها بالرعاية ، وذلك كله تمهيدا لعملية التغيير الكبير التى تنشأ وتتبلور فى القاعدة الشعبية ، ويكون القانون أخيرا تتويجا لرغبة الجمهور وتطلعه الى حياة سامية بعد أن وضحت أمامه معالم الطريق .

واذا نظرنا فى مسألة الأزياء فى مجتمعنا العربى والاسلامى نجد أنها أساسا تشكل جزءا من مشكلة كبرى وهى مسألة التخلف الثقافى الذى ما زلنا نعيش فيه ، فبالنظر الى خلفية المجتمع العربى خاصة إبان الحكم العثمانى الذى أطلق عليه فى الغرب « الرجل المريض » نجد أن الرجل لم يكن مريضا سياسيا وحربيا فحسب بل ثقافيا واداريا أيضا . . ومن هنا بدأت الثقافة الفرنسية تتغلغل فى ممالك الدولة العثمانية ممثلة أساسا فى تلك القوانين التى ما زالت تحكم حياتنا الاجتماعية حتى يومنا هذا ، ثم أخذت تنافس الثقافة الفرنسية أو تحل محلها بالتدريج الثقافة الانجليزية ــ الامريكية ممثلة فى الأزياء والأفلام السينمائية والسلع الكمالية . .

واذا نظرنا للاستقلال الحقيقى الذى تحرزه اى أمة نجده يتمثل فى الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى والاستقلال الثقافى ، واذا لم يتبع الاستقلال السياسى باستقلال اقتصادى وثقافى فانه بمرور الوقت الى استقلال شكلى محض خال من أية معنى ، وأن الشرق العربى حتى الآن لم يكد يستكمل استقلاله السياسى ، فالانسان العربى لا يزال انسانا مستهلكا أكثر منه انسانا منتجا هذا بالاضافة الى أن هناك تبعية صارخة للفكر الغربى ، نجد آثار هذه التبعية تتمثل فى الاعتقاد السائد وهو أن الغرب متقدم فى كل شىء ، وأننا متخلفون فى كل شىء ، وترتب على ذلك أن أخذنا عن الغرب الغث والسمين ، ولم يقتصر ذلك على النواحى المادية من تقليد المظاهر وما يتصل بها بل امتد ذلك الى النواحى الثقافية والفكرية حيث نجد أن طائفة كبيرة من المثقفين والكتاب والصحفيين وبعض أساتذة الجامعات قد صبغوا أنفسهم بالصبغة الغربية ، وهذه الطائفة بالتضافر الطبيعى مع غيرها من أوجه النشاط الثقافى والاجتماعى السائد فى الظرف الراهن أصبحت تشكل مركز القوة فى قيادة الرأى العام وتشكيله طبقا لاتجاهاتها ومشاريها ، ماذا كان نتيجة ذلك كله ؟ لقد أصبح هناك جيل يتباهى ويفتخر بانتمائه للثقافة الغربية ومحاكاتها ، ويهمل تراثه الثقافى المحلى بل وينظر اليه بعين الازدراء والاحتقار فى أغلب الأحيان .

ولقد لعبت الدعاية الواسعة المكثفة التى نشرها الغرب من حول ثقافته مستخدما فى ذلك شتى الطرق من أفلام سينمائية وسلع كماليـة ومراكـز الاستعلامات والمعاهد الثقافية ــ دورا فعالا فى نشر ثقافته وأسلوب حياتـه واضفاء طابع العالمية عليها وكأن الغرب أصبح هو العالم كله !

وفى عالم الأزياء نجد أن بيوت الأزياء « الراقية » التى تدعمها المجـلات المتخصصة فى هذا الشأن تقوم بدور فعال فى الدعاية لما تفرزه بيوت الأزياء

ومصمموها فى باريس وروما ولندن ونيويورك . واذا امعنا النظر فى اسلوب تصميم تلك التقاليع وتطورها من فترة لأخرى نجد انها تتبع اسلوبا فى تعرية جسد المراة شيئا فشيئا ، وان دل ذلك على شىء فإنما يدل على اسلوب الحضارة الغربية الذى يقوم اساسا على عبادة الجسد والخلود إلى القيم الأرضية ، ولذلك اسباب حضارية يطول شرحها . .

واذا كان مصممو الأزياء فى بعض الأحيان قد ابتكروا تقاليع تبدو محافظة مثل « الميدى » و « الماكسى » والبنطلونات العريضة ، فان ذلك لا يمثل تغييرا جوهريا فى اسلوبهم ، بل إنه فى الواقع يمثل انعطافا مؤقتا يهدف الى تغيير أمزجتهم التى أصيبت بنوع من الحساسية من جراء الاستشارة التى احدثتها تقليعة « المينى جيب » ولهذا نجدهم بعد فترة وجيزة يعاودون الكرة ، ويطلعون على العالم بما أسموه « الشورت الساخن » إمعانا فى الإثارة الجنسية الصارخة !!

وانه لمن المضحك والمؤسف فى الوقت نفسه أن حواء تقف من كل ذلك مسرورة متلهفة على كل ما يصدره « مبدعو الموضة » واذا بها تغدو دمية فى أيديهم يعبثون بها كيفما شاءوا ، فلو فرضنا على سبيل المثال أن فتاة تجرأت ولبست رداء يشبه (الماكسى) أو (الميدى) قبل أن يصرح (سلوك الموضة) بتداوله لوصمها الجميع بالتخلف والرجعية والجمود . . الى آخر ذلك من قائمة الاتهامات التقليدية . . ولكن عندما صدر الإذن من (أصحاب الجلالة) الى حواء اذا بها لا تجد غضاضة فى ارتداء (الماكسى) بل اقبلت عليه بنفس الحماس الذى اقبلت فيه على ارتداء (المينى جيب) من قبل ، رغم ما بينهما من فرق شاسع !

واذا كان البعض يرى أن ارتداء الملابس الافرنجية للمراة يضفى عليها نوعا من تذوق الجمال والأناقة ، وان ابراز مفاتنها يغذى الجمال فاننا نقول لهم : حسنا . إن ذلك سوف يكون رائعا لو كان الانسان ملاكا أى روحا فقط ، ولكن الانسان مكون من روح وجسد معا ، وليس مجرد روح فحسب . أى ان جمال المراة ، واظهار مفاتنها يرتبط عادة باستثارة جنسية لا يمكن انكارها ، ثم ما يترتب على ذلك من اعتبارات أخلاقية وانسانية .

هذا وان مظهر الانسان كما يقول علماء النفس هو جزء من شخصيته ، فمظهر حواء وتبرجها الصارخ بعرض مفاتنها إنما يؤثر ابلغ التأثير فى التكوين الداخلى لشخصيتها ، فينعكس ذلك . على سلوكها ونظرتها الى الحياة ، فالرداء المحتشم يكسبها هيبة ورزانة ووقارا ، ويضفى عليها جمالا روحيا اساسه البساطة وعدم التكلف ، أما الرداء الفاضح المثير فانه يجعلها تفقد كثيرا من خصائص انوثتها خاصة حياءها ، ثم ما يترتب على ذلك كله من الأضرار التى تلحق بالانسان بصفة عامة من انحطاط فى النتاج الفكرى والوجدانى ، وتجعل الحياة الانسانية تهوى الى الحضيض .

واذا تأملنا الطبيعة من حولنا نجد ان للأشجار اوراقا تكسوها وللطيور ريشها وللحيوانات أشعارها وأوبارها ، ولكن ما بال الانسان ؟ إن للانسان عقلا استطاع به أن يصنع ما يستر جسده ويضفى عليه مظهرا لائقا ، فاذا تصورنا الأشجار بدون أوراقها تكسوها والطيور بدون ريشها والحيوانات بدون أشعارها وأوبارها أمكن لنا أن نتصور الانسان بدون رداء لائق يستره ، وصدق الله العظيم اذ يقول فى محكم آياته :

« يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » ـــ سورة الاعراف الآية ٢٦ ـــ .